

الدرس الرابع عشر

معجزات محمد ﷺ الأرضية

معجزات محمد ﷺ

أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية مجموعة كبيرة من معجزات النبي ﷺ، وقسمها إلى قسمين: معجزات أرضية ومعجزات سماوية، وقد أورد مجموعة من المعجزات الأرضية وهي عند التصنيف على نوعين: حسية ومعنوية:

النوع الأول: المعجزات الحسية الأرضية: - ومن صورها: -

أولاً: - تكثير طعام أبي طلحة الأنصاري حين دعا النبي ﷺ لتناول الطعام عنده بعد أن رأى ما هو فيه من الجوع فصنع طعاماً يكفي لشخصين أو ثلاثة، فلما جاء النبي ﷺ اصطحب معه جميع من كان عنده من أصحابه وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، فجعلوا يأكلون من الطعام عشرة أشخاص بعد عشرة حتى كفاهم الطعام جميعاً وبقي كما هو، فقال النبي ﷺ لأبي طلحة كُُل أنت وعيالك وأطعم جيرانك^(١).

ثانياً: - تكثير الطعام لجابر بن عبد الله الأنصاري يوم حفر الخندق وذلك أنه دعا النبي ﷺ وقت حفر الخندق لتناول الطعام عنده مع عشرة من أصحابه، فدعا النبي ﷺ أهل الخندق إلى طعام جابر، وكان قد ذبح عناقاً وهو صغير الماعز، فجعل الصحابة يدخلون على بيت جابر عشرة عشرة حتى أكلوا منها جميعاً، وقد كانوا وقتذاك ألفاً^(٢)، ولو كانوا أكثر من ذلك لكفاهم.

ثالثاً: - تكثير مياه بئر قباء، وذلك أنه كان الماء فيه قليلاً فتوضأ النبي ﷺ منه ثم رد عليه ماء الوضوء فجعلت البئر تفور حتى كثر ماؤه وفاض^(٣).

(١) روى هذه القصة البخاري ومسلم ومالك في الموطأ والترمذي. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٧٨ كتاب المناقب. باب زيادة الطعام والشراب ببركته ﷺ. رقم الحديث ٨٥٠٠.

(٢) روى هذه القصة البخاري ومسلم، انظر نفس المصدر ح ٢ ص ٤٧٨ رقم الحديث ٨٤٩٩.

(٣) أورد هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية ح ٦ ص ١٠١ باب ما ظهر في البئر التي كانت بقاء من بركته ﷺ.

رابعاً: - يوم الحديبية، وذلك حين قلَّ الماء في معسكر النبي ﷺ فاشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ فأمر بقدر فيه ماء، فوضع أصابعه فيه ودعا، فجعل الماء يفور من بين أصابعه فشرب القوم وتزودوا، وشربت بهائمهم وكانوا يومئذ أكثر من ألف وخمسمائة شخص، قال الراوي: ولو كنا مائة ألف لكفانا^(١).

خامساً: - عندما اشتد أذى كعب بن أشرف اليهودي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، شكى النبي ﷺ أعماله إلى الناس ذات يوم، فعمدت مجموعة من أصحاب النبي ﷺ إلى كعب بن الأشرف فاغتالته في منزله، وكان على رأسهم محمد بن مسلمة الأنصاري من قبيلة الأوس فأصيب أحدهم بجراح أثناء عملية قتل ابن الأشرف ويدعى الحارث بن أوس، فجيء به إلى النبي ﷺ فتفل على جرحه فبرئ^(٢).

سادساً: - يوم خيبر قال النبي ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فسأل عن علي بن أبي طالب ف قيل له: إنه أرمم يشكو عينيه، فدعا به فمسح عينيه فعاد صحيحاً معافى فأعطاه الراية وفتح الله تعالى على يديه حصن خيبر^(٣).

سابعاً: - ويوم أحد أصاب عين قتادة الأنصاري سهم فقلعها من محجرها حتى تدلت على خده، فجيء به إلى النبي ﷺ فردها في محجرها ومسح عليها فعادت أحد عينيه بصراً^(٤).

النوع الثاني: المعجزات المعنوية الأرضية: -

وتنقسم هذه المعجزات إلى نوعين: أدعية وأخبار

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٧٦، باب زيادة الطعام والشراب ببركة النبي ﷺ رقم الحديث ٨٤٩١.

(٢) رواه البخاري ح ٥ ص ١١٥ باب حديث بني النضير. وانظر البداية والنهاية ح ٤ ص ٧.

(٣) رواه البيهقي. وانظر البداية والنهاية ح ٤ ص ١٨٦.

(٤) انظر البداية والنهاية ح ٤ ص ٣٣ عند الكلام في غزوة أحد. وقيل في غزوة بدر كما في ص ٢٩١ منه.

النوع الأول: - الأدعية: - من هذه الأدعية ما هو دعاء لأناس، ومنها ما هو دعاء على أناس.

أما الدعاء لأناس: فمن أمثلته: -

١- دعاؤه ﷺ لعلي بن أبي طالب حين أرسله قاضياً لليمن فقال ﷺ «اللهم ثبت قلبه واهد لسانه»^(١) فما كانت تعرض لعلي بن أبي طالب مشكلة في قضائه إلا وجد لها حلاً حتى اشتهر بذلك بين الصحابة وأصبح مثلاً، حتى قيل: قضية ولا أبا حسن لها.

٢- دعاؤه ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٢)، وقد بلغ من دقة فهمه في القرآن أن جعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣) عضواً في مجلس الشورى الذي يضم كبار أصحاب رسول الله ﷺ. رغم صغر سنه رضي الله عنه.

٣- دعاؤه لسعد بن أبي وقاص: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»^(٤) فكان لا يدعو بشيء إلا استجيب له.

٤- دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف: «اللهم بارك في تجارته»^(٥) فبنى مال عبد الرحمن وكثر، ودبت البركة في حركته التجارية حتى قيل: إنه لو رفع حجراً لوجد تحته ذهباً.

٥- دعاؤه لطلحة بن عبيد الله ولزوجته: «اللهم بارك لهما في ليلتهما»^(٦) فولدت امرأته صبياً ثم تزوج فرزقه الله تعالى بعشرة من الأولاد الذكور كلهم حفظ القرآن.

(١) رواه ابن كثير عن الإمام أحمد. انظر البداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٧.
(٢) رواه أحمد والطبراني. انظر كشف الخفاء ج ١ ص ٢٢٠ رقم الحديث ٥٨٢ قال: وأصله في البخاري بلفظ (اللهم علمه الكتاب) وفي رواية عند البخاري والترمذي عن ابن عباس قال: ضمنني النبي ﷺ وقال: اللهم علمه الحكمة. انظر البخاري ج ٥ ص ٣٤ كتاب المناقب. باب مناقب ابن عباس.

(٣) انظر البخاري ج ٦ ص ٢٢٠ كتاب التفسير. باب إذا جاء نصر الله والفتح.
(٤) رواه الترمذي وصححه ورواه ابن حبان والحاكم أيضاً. انظر تحفة الأحوذ ج ١٠ ص ٢٥٣ كتاب المناقب. باب مناقب سعد بن أبي وقاص، رقم الحديث ٣٨٣٥
(٥) انظر البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٣ بلفظ (بارك الله لك) فكثر ماله.
(٦) رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، انظر رياض الصالحين ص ٣٣ باب الصبر.

وأما دعاؤه على أناس: فمن أمثلة ذلك: -

١- دعاؤه على كسرى ملك الفرس بقوله: «اللهم مزق ملكه»^(١) عندما مزق كسرى خطاب رسول الله ﷺ فسقطت دولة فارس ومزقت شر ممزق على أيدي المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢- دعاؤه على أعرابي امتنع عن الأكل باليمين تكبراً فُشِّلَتْ يد الأعرابي^(٢).

٣- دعاؤه على عتبة بن أبي لهب حين بالغ في إيذاء المسلمين، بأن يسلط الله تعالى عليه كلباً من كلابه، فتسلط عليه سبع في رحلته التجارية بين مكة والشام فقتله من بين حرسه ومرافقيه^(٣).

النوع الثاني: - الأخبار: - وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: ماضية وحاضرة ومستقبلية.

أما الماضية: - فأخبر عن الأمم والشعوب السابقة ومواقفها من أنبيائها، وما نزل بالمكذابين منهم من العذاب والعقوبة، فكان كما أخبر بدليل أن أحداً من أهل الأديان السابقة لم ينف شيئاً منها رغم العداء منهم والمحاربة للنبي ﷺ.

وأما الأخبار الحاضرة: - كإخباره ﷺ عن مقتل خبيب بن عدي حين صلبته قريش في ضواحي مكة، وقال خبيب: اللهم بلغ عنا نبيك، فأخبر النبي ﷺ أصحابه وكان كما أخبر^(٤). وكذلك قضية فضالة بن عبيد الذي حاول اغتيال النبي ﷺ عام الفتح أثناء الطواف فأخبره النبي ﷺ بما تحدث به نفسه فكان كما أخبر^(٥).

(١) رواه البخاري ح ٦ ص ١٠ باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر. وانظر البداية والنهاية ح ٦ ص ٢٦٤.

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ١٠٩ كتاب الأطعمة. باب الأكل باليمين عن سلمة بن الأكوع. رقم ١٢٩٩.

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن قتادة بن دعامة، وهو مرسل، وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٦٣ كتاب السير والمغازي. باب صبر النبي ﷺ.

(٤) انظر البداية والنهاية ح ٤ ص ٦٤ في غزوة الرجيع وانظر صحيح البخاري ح ٥ ص ١٣٢ باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان.

(٥) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٥٩ في أحداث فتح مكة.

وأما الأخبار المستقبلية فكثيرة وقد جاءت كلها كما أخبر تماماً بتمام، ومن أمثلة ذلك: -

١- الإخبار بالعشرة المبشرين بالجنة، فكان كما أخبر حيث ماتوا جميعاً على الإيمان^(١)، وهم: الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وسعيد بن زيد.

٢- قوله ﷺ وقد صعد جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٢) فمات أبو بكر رضي الله عنه على فراشه موتاً اعتيادياً ومات عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما اغتيالاً وغدراً شهيدين.

٣- إخباره عن الحسن بأنه (سوف يصلح الله تعالى به بين طائفتين من أمته عظيمتين دعواهما واحدة)^(٣) فتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية وجمع الله تعالى به الصف عليه.

٤- إخباره عن عمار بن ياسر بأنه يموت قتلاً بقوله: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية»^(٤) فقتل في معركة صفين، بين علي ومعاوية، وكان في صفوف علي رضي الله عنه.

٥- عندما أخبر النبي ﷺ عن جيش يغزو البحر مدحه فقال فيهم (مثل الملوك على الأسرة)^(٥)، فطلبت منه أم حرام بنت ملحان أن يدعو الله تعالى أن تكون مع الجيش، فماتت مع جيش معاوية الذي غزا جزيرة قبرص.

(١) رواه أبو داود والترمذي عن سعيد بن زيد مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٩٢.

كتاب مناقب أصحاب النبي ﷺ رقم الحديث ٨٥٥٥.

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٤٩٤ باب فضائل الصحابة المشتركة رقم الحديث ٨٥٦٥ عن أنس مرفوعاً.

(٣) رواه البخاري ح ٤ ص ٢٤٩ كتاب علامات النبوة عن أبي بكر مرفوعاً.

(٤) رواه مسلم عن أم سلمة مرفوعاً بلفظ (تقتل عماراً الفئة الباغية) انظر مختصر مسلم ح ٢ ص ٢٩٢ كتاب الفتن. باب تقتل عماراً الفئة الباغية. رقم الحديث ٢٠٠٦.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٥٧٤ كتاب المناقب رقم الحديث ٨٩٨٨.

٦- إخباره ﷺ عن مصارع المشركين يوم بدر فكان كما أخبر^(١)، ولم يتجاوز أحد منهم مصرعه.

٧- إخباره ﷺ عن نار تخرج من الحجاز يصل ضوؤها إلى الشام فحصل ذلك ٦٥٤ هـ^(٢).

٨- إخباره ﷺ عن (تداعي الأمم)^(٣) وتجروها على هذه الأمة فكان كما أخبر وذلك بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية مطلع هذا القرن العشرين.

٩- إخباره ﷺ عن قتال اليهود: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلكم اليهود»^(٤). وقد بدأ قتال اليهود للمسلمين منذ ١٩٤٨ م ثم ١٩٥٦ م ثم ١٩٦٧ م ثم ١٩٧٣ م ثم ١٩٨٢ م ولكنها في النهاية سوف تباد بإذن الله تعالى. (حتى يختبئ اليهودي وراء الشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورأيي تعال فاقتله فيقتله) رواه مسلم.

١٠- إخباره ﷺ عن حرب الخليج وقد بدأت سنة ١٩٩٠ م: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون»^(٥) وستكرر وربما يستخدم فيها السلاح النووي والكيمياوي الذي يقتل به من كل مائة تسعة وتسعون.

(١) رواه مسلم عن أنس، انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٧٠ كتاب الهجرة والمغازي باب غزوة بدر، رقم الحديث ١١٥٦.

(٢) انظر البداية والنهاية ح ٦ ص ٢٥٣.

(٣) روى ثوبان مرفوعاً (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله. قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) رواه أبو داود. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧١٧ كتاب الفتن. رقم الحديث ٩٨١٨.

(٤) رواه البخاري ح ٤ ص ٢٣٩ عن ابن عمر مرفوعاً. كتاب بدء الخلق. باب علامات النبوة.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٢٩ كتاب الفتن وأشراف الساعة. رقم ٩٨٨٥.